

الكشاف

قالت قریش : اؑ اعظم من أن يكون رسوله بشرا فقيل " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
نوحى إليهم " على السنة الملائكة " فسألوا أهل الذكر " وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن اؑ
لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا . فإن قلت : بم تعلق قوله " بالبينات " ؟ قلت : له
متعلقات شتى فأما أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي : وما أرسلنا
إلا رجالا بالبينات كقولك : ما ضربت إلا زيدا بالسوط ؟ لأن أصله : ضربت زيدا بالسوط وإما
برجالا صفة له : أي رجالا ملتبسين بالبينات . وإما بأرسلنا مضرا كأنما قيل : بما أرسلوا
؟ فقلت : بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد وإما بيوحى أي : يوحى إليهم
بالبينات . وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبيكيت والإلزام كقول الأجير : إن كنت
عملت لك فأعطني حقي . وقوله : " فسألوا أهل الذكر " اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل
الذكر : أهل الكتاب . وقيل للكتاب الذكر ؟ لأنه موعظة وتنبيه للغافلين " ما نزل إليهم "
يعني ما نزل اؑ إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا " لعلهم يتفكرون
" وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا .

" أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف اؑ بهم الأرض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون
أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم " .
" مكروا السيئات " أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول اؑ A " في
تقلبهم " متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم " على تخوف " متخوفين وهو أن يهلك
قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله " من حيث لا
يشعرون " وقيل : هو من قولك : تخوفنه وتخونته إذا تنقصته قال زهير :
تخوف الرجل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن .

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا . وعن عمر B .
أنه قال على المنبر : ما تقولون فيها ؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا :
التخوف التنقص . قال : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم قال شاعرنا . وأنشد
البيت . فقال عمر : أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل . قالوا : وما ديواننا ؟ قال :
شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم " فإن ربكم لرؤوف رحيم " حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم
مع استحقاقكم .

" أولم يروا إلى ما خلق اؑ من شيء يتفيؤوا ظلاله عن اليمين والشمال سجدا اؑ وهم داخرون
" .

قريء : أو لم يروا ويتفيمؤوا بالياء والتاء . وما موصولة بخلق ا□ وهو مبهم بيانه " من شيء يتفيمؤوا ظلاله " واليمين بمعنى الأيمان . و " سجدا " حال من الظلال . " وهم داخرون " حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق ا□ من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب . والمعنى : أو لم يروا إلى ما خلق ا□ من الأجرام التي لها ظلال متفيمئة عن إيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها . وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي : ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة □ غير ممتنعة عليه فيما سخرها . له من التفيمؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال ا□ فيها لا تمتنع .

" و□ يجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون "